

سورة النساء

اللقاء الأول

أولاً: معلومات عامة عن سورة النساء

- تعد سورة النساء إحدى السُّور المدنيّة، نزلت بعد سورة الممتحنة، يبلغ عدد آياتها: (176) آية.

- سبب تسمية سورة النساء بهذا الاسم؛ لحديثها عن العديد من الأحكام التي تخصُّ النساء؛ كالميراث، وتعامل الأزواج معهنّ.

- سورة النساء يطلق عليها اسم سورة النساء الكبرى؛ بغية تمييزها عن سورة النساء الصُّغرى؛ وهي سورة الطلاق؛ التي سُمِّيت بذلك لحديثها عن بعض شؤون النساء.

- ترتبط سورة النساء بما قبلها وهي سورة آل عمران ارتباطاً واضحاً، يظهر من خلال الحديث عن التَّقوى في نهاية آل عمران؛ حيث قال - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، وفي بداية النساء حيث قال - تعالى -: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ)، ويسمّى هذا بتشابه الأطراف. كما أنّ الأحكام والآداب التي تدعو إليها سورة النساء؛ تحقّق للمجتمع التّكاتف والاجتماع، وهو ما لا يقوم إلّا على أساس التّوحيد؛ وهو الذي دعت إليه سورتي البقرة وآل عمران.

فضل سورة النساء:

جاء في فضل سورة النساء ما روي عن الصحابيِّ الجليل عبد الله بن مسعود أنّه قال: "إنّ في النساء لخمسُ آياتٍ ما يسُرُّني بها الدنيا وما فيها وقد علمتُ أنّ العلماء إذا مرُّوا بها يعرفونها: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" وقوله "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" و "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" وقوله "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" وقوله "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا"، وجاء أيضاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: "من أخذ السبع الأوّل من القرآن فهو حَبْرٌ"، والحبر هو العالم كما أنّ سورة النساء هي من ضمن سور القرآن السبعة الأولى.

ثانياً: أغراض السورة:

تضمنت سورة النساء حقوق النساء والأيتام، وأحكام الموارث، وتحدثت عن المحرمات من النساء، وتناولت تنظيم العلاقات الزوجية، وحق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وبينت معنى قوامة الرجل، وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، وإنما هي قوامة نصح وتأديب، ثم انتقلت إلى دائرة المجتمع فأمرت بالإحسان في كل شيء، وبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم، والتناصح والتسامح، والأمانة والعدل، وفصلت في أحوال الصلاة التي هي عمود الدين فهي لا تسقط في حال من الأحوال حتى في ساحة القتال، وتناولت وجوب الهجرة في سبيل الله حال الاستضعاف، ثم تطرقت السورة للعدو الخارجي الذي يهدد الأمة واستقرارها، وأمرت بأخذ العدة لمكافحته، ونهت كذلك على نبتة خبيثة وجرثومة تسري في جسد الأمة متمثلة بأهل النفاق فحذرت من كيدهم ومكرهم بأهل الإسلام، وتحدثت عن خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود، وموقفهم من الرسل، وختمت ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح ودعتهم إلى الرجوع إلى عقيدة التوحيد.

أسباب النزول:

{وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ... الآية 2 }

أن رجلاً من قبيلة غطفان كان عنده ابن أخيه اليتيم، وكان لهذا اليتيم مالاً كثيراً تحت وصاية عمّه، فلما كبر وأراد ماله رفض العم ردّ المال، فتخاصما عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ليحكم بينهما، فنزلت الآية تأمر بدفع مال اليتامى إليهم، وتنهى عن فعل أحدهم؛ وهو تبادل غنمه مع غنم اليتيم، حيث كان يأخذ الشاة السمينه منه، ويعطيه أخرى ضعيفة مهزولة ويقول شاة بشاة؛ فردّ العم المال إلى ابن أخيه.

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.. الآية 3 }

ثبت عن عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلَتْ عن هذه الآية فقالت: هي اليتيمة في حجر وليّها، فيَرْغَبُ في جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَدْنَىٰ مِنْ سُنَّةِ نِسَائِهَا، فَهَبُوا عَنْ نِكَاحِهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَأَمَرُوا بِنِكَاحِ مَنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، والمعنى: إن خفتُم أن تتزوجوا اليتيمات وتجوروا عليهنّ بالمهر ولا تعطونهن حقهن فلا تتزوجن، وانكحوا نساءً أخريات فالله تعالى قد جعل لكم في الأمر سعة.

{وَابْتَئُوا الْيَتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ... الآية 6 }

نزلت هذه الآية في ثابت بن رفاعه وفي عمه، حيث توفي والد ثابت رفاعه، فجاء أخو رفاعه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له: إنّ لي يتيماً في حجري هو ابن أخي، فهل يحلّ لي أخذ شيء من ماله، ومتى أعطيه المال، فنزلت الآية.

معاني الكلمات

الآية	الكلمات	المعنى
١	بَثَّ مِنْهُمَا	نَشَرَ وَفَرَّقَ مِنْهُمَا بِالتَّنَاسُلِ
١	وَالْأَرْحَامِ	وَاتَّقُوا أَنْ تَقْطَعُوهَا
١	رَقِيبًا	مُطَّلَعًا. أَوْ حَافِظًا لِأَعْمَالِكُمْ
٢	حُوبًا كَبِيرًا	إِثْمًا أَوْ ذَنْبًا أَوْ ظُلْمًا- عَظِيمًا
٣	أَلَّا تُقْسِطُوا	أَنْ تَعْدِلُوا وَ لَا تُنْصِفُوا
٣	مَا طَابَ لَكُمْ	مَا حَلَّ لَكُمْ
٣	رِبَاعٍ	فَتَحْرُمُ الزِّيَادَةَ عَلَى أَرْبَعٍ
٣	أَلَّا تَعُولُوا	فِي النِّفْقَةِ وَ سَائِرِ الْحَقُوقِ
٣	ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا	ذَلِكَ أَقْرَبُ أَنْ لَا تَجُورُوا، أَوْ أَنْ لَا تَكْثُرَ عِيَالُكُمْ
٤	صِدْقَاتِهِنَّ	مُهُورَهُنَّ
٤	نَخْلَةٍ	فَرِيضَةً أَوْ عَطِيَّةً بِطِيبِ نَفْسٍ
٤	هَنِيئًا مَرِيئًا	طَيِّبًا سَائِغًا حَمِيدًا مَغْبِيَّةً

الآية	الكلمات	المعنى
٥	قياما	قوام معايشكم و صلاح أموركم
٦	ابتلوا اليتامى	اختبروهم في الإهتمام لِحُسن التَّصرّف في أموالهم قبل البلوغ
٦	أنسئتم	علمتم و تبينتم
٦	رُشدا	اهتداءً لِحُسن التَّصرف في الأموال
٦	بدارًا أن يكبروا	مُبادرين كبرهم و رُشدهم
٦	فليستعفف	فليكفّ عن أكل أموالهم
٦	حسيبًا	مُحاسبًا لكم أو شهيدا

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)

يا أيها الناس خافوا الله والتزموا أوامره، واجتنبوا نواهيه، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالا كثيرا ونساء كثيرات، وراقبوا الله الذي يسأل به بعضكم بعضًا، واحذروا أن تقطعوا أرحامكم. إن الله مراقب لجميع أحوالكم. وفي الحديث الصحيح: "اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب. وقد ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة؛ ليعطف بعضهم على بعض، ويحننهم على ضعفائهم. وقد ثبت في صحيح مسلم، من حديث جرير بن عبد الله البجلي؛ أن قوماً حفاةً عراةً يلبسون جلود النُمر لشدة فقرهم وحاجتهم جاءوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فتأثر لسوء حالهم فما كان منه -صلى الله عليه وسلم- إلا أن صلى وخطب بالناس وتلا هذه الآية ليحث الناس على الصدقة؛ فهم الناس بذلك. فقال في خطبته: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) حتى ختم الآية، وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) [الحشر: 18] ثم حضهم على الصدقة، فقال: "تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من صاع بره، صاع تمره..." وذكر تمام الحديث.

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2)

وأعطوا من مات أبائهم وهم دون البلوغ، وكنتم عليهم أوصياء، أموالهم إذا وصلوا سن البلوغ، ورأيتهم منهم قدرة على حفظ أموالهم، ولا تأخذوا الجيد من أموالهم، وتجعلوا مكانه الرديء من أموالكم، ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم؛ لتحتالوا بذلك على أكل أموالهم. إن من تجرأ على ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3)

وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت أيديكم بأن لا تعطوهن مهورهن كغيرهن، فاتركوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء من غيرهن: اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خشيتم ألا تعدلوا بينهن فاكتفوا بواحدة، أو بما عندكم من الإماء. ذلك الذي شرعته لكم في اليتيمات والزواج من واحدة إلى أربع، أو الاقتصار على واحدة أو ملك اليمين، أقرب إلى عدم الجور والتعدي.

وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4)

وأعطوا النساء مهورهن، عطية واجبة وفريضة لازمة عن طيب نفس منكم. فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من المهر فوهبتهن لكم فخذوه، وتصرفوا فيه، فهو حلال طيب.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5)

ولا تؤتوا -أيها الأولياء- من يُبذّر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولاً معروفاً من الكلام الطيب والخلق الحسن.

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)

واختبروا من تحت أيديكم من اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ، وعلمتم منهم صلاحاً في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلموها لهم، ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها إسرافاً ومبادرة لأكلها قبل أن يأخذوها منكم. ومن كان صاحب مال منكم فليستعفف بغناه، ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، ومن كان فقيراً فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة. فإذا علمتم أنهم قادرون على حفظ أموالهم بعد بلوغهم الحلم وسلمتموها إليهم، فأشهدوا عليهم؛ ضماناً لوصول حقهم كاملاً إليهم؛ لئلا ينكروا ذلك. وكيفيكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم.

بعض الأحكام التجويدية والتدريبات

الأحكام التجويدية	الكلمات	الآية
يَا أَيُّهَا، مد منفصل بمقدار حركتين الناس، نون مشددة تغن بمقدار حركتين	يَا أَيُّهَا النَّاسُ	١
إخفاء التنوين في حرف الكاف مع غنة بمقدار حركتين	رَجَالًا كَثِيرًا	١
	كَثِيرًا وَنِسَاءً	١
	فَوَحْدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ	٣
قلقلة حرف الباء الساكن	وَأَبْتَلُوا	٥
	حَتَّىٰ إِذَا	٦
	النِّكَاحِ	٦
	إِسْرَافًا وَبِدَارًا	٦
	وَبِدَارًا أَنْ	٦

من هداية الآيات:

- ☐ أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل.
- ☐ جواز تعدد الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضًا.
- ☐ لزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهن، والقدرة على القيام بما يجب لهن.
- ☐ مشروعية الحَجْر على السفية الذي لا يحسن التصرف لمصلحته، وحفظًا للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.